واعتمد ابو حاتم فى علاجه على الشواهد ولكنه كان يقلل منها فى الشواهد التى انفرد بها عن ابن السكيت ، ولم يظهر لي انه اخذها من غيره . ولا يختلف الاستشهاد عند ابي حاتم عنه عند من سبقه ، طريقة وانواعا ، غير انه اكثر من الآيات القرآنية ، وقلل من الامثال والاقوال . وهذه بعض امثلة الاستشهاد عنده . قال (5) : « الآدم من الابل ومن الظباء : الابيض . ومن كل شيء بعد ذلك : غير الابيض على ما يقول الناس . يقولون : رجل آدم — (اسمر) وظبية ادماء : بيضاء . وبعير آدم : للابيض ، وناقة ادماء » . وقال (6) : « قد قالوا : بصير ، للبصير الاعمى ، وللزنجي ابو البيضاء . وقال لي رجل من شق الاحساء : لي ام بصيرة ، يريد عمياء .

ولكن ابا حاتم خالف من قبله فى ناحية واحدة من الشواهد ، هي ايراده احيانا السند فى تفسير الآيات والاحاديث . قال (7) : « حدثني ابو عامر العقدي قال : حدثني سفيان بن عيينة ، عن عمرو بن دينار : ان ابن عباس قرأ : (وكان امامهم ملك يأخذ كل سفينة صالحة غصبا) ... » .

وكان فى العلاج يحاول الا يستطرد كما كان يفعل ابن السكيت ، وان يلتزم بما اتصل بالاضداد وحده .

ولكن هذا لم يمنعه من الالتفات الى المشتقات المتصلة بالاضداد ، والعناية باللغات ، كما نرى فى قوله فى « ند » (8) : « النخل ، يؤنثه اهل الحجاز ويذكره سائر الناس . ويؤمل : من املته ، مخففة ، ويقال : هو مأمول ومن قال املته ، فشدد الميم . قال : هو مؤمل . وقالوا للواحد : شبه وشبيه ، وعدل وعديل . وقد يقال للعدل من الاحمال : عديلة : ايضا » .

وكان الى جانب هذا يلتفت احيانا الى بعض القواعد والاحكام اللغوية والنحوية ، ويذكرها . قال : « قال ابو حاتم : اجتمعت العرب على ان (ند) الشيء مثله وشبهه وعدله ، ولا اعلمهم اختلفوا فى ذلك ... والجمع انداد .. وكثير من العرب يجعلون الند ايضا للجمع من الرجال والنساء. وللاثنين من الرجال والنساء ، كما يجعلون المثل والشبه والعدل والضد .. ويقال : ند ، ونديد ، ونديدة بالهاء ، كما يقال فى الحديث : « اذا أتاكم كريمة قوم فأكرموه » : اي كريم قوم ... قال تعالى: « كلا سيكفرون بعبادتهم ، ويكونون » اي تكون الالهة ضدا عليهم . وانما جعل الضد كالمصادر التى تكون للواحد والجمع سواء . كقولك : القوم رضى ، والقوم عدل . وهم جنب ... وهذا مشهور فى المصادر خاصة . ويقال : قوم كرم ، فى معنى : كرام وقالوا : قوم شرط : وقزم : للئام ، وقد يجمع فيقال : قزامى واشراط » .

وكتاب الاضداد لابي حاتم اكثر انتظاما من كتاب ابن السكيت ، اذ ينظم اضداد فعول ، وافتعل وانفعل من الاجوف ، وافتعل من المضعف الثلاثي ، ولم يظهر ذلك التنظيم بهذا البروز فى اضداد ابن السكيت . يضاف الى ذلك انه آخر مجموعة كبيرة من الاضداد التى شك فيها الى آخر اضداده ، وصرح بشكه فيها . ولكن تسرب اليه الاختلال فى مادة « ضنين وظنين » التى لا ندري سبب وضعه اياها فى الاضداد ، وفى مادة « قعد » التى كررها مرتين (9) .

يضاف الى ذلك ان ابا حاتم فى اضداده امتاز على ابن السكيت امتيازا كبيرا ، دل على قدرة فائقة . وقد ظهرت آثار هذه القدرة فى النقود التى عقب بها على كثير مما أورده من اضداد . وعندما نتتبع هذه النقود نخرج بالملاحظات التالية :

اقام ابو حاتم الشطر الاكبر من نقده ، على عدم معرفته هو بالمعنى المقول به للفظ . وهو يقيم من نفسه مثالا للغويين ، فيعني بقوله : « لا أعرفه » ان اللغويين لا يعرفونه . قال مرة (10) « اجتمعت

---

(5) 176 .
(6) 225 .
(7) 111 .
(8) 106 .
(9) 212 ، 261 .
(10) 106 .

العرب يجعل الضد مثل الند ، ويقول هو يضادني ، أعلمهم اختلفوا في ذلك ... (و) زعم قوم أن بعض العرب يجعل الند مثل الند ، ويقول هو يضادني ، في ذلك المعني ، ولا اعرف انا ذلك . فأما المعروف في الضد في كلام العرب فخلاف الشيء ، كما يقال: الايمان ضد الكفر ، والعقل ضد الحمق .. » .

وكان في اكثر الاحيان يأتي بهذا النقد في الاضداد المتعلقة بالقرآن تحرجا منه وورعا . مثال ذلك قوله (11) : « كان ابو عبيدة يقول : خاف من الخوف ، ومن اليقين . وكان يقول : « فان خفتم الا تعدلوا » يريد ايقنتم . ولا علم لي بهذا لانه قرآن ، فانما تحكيه عن رب العالمين ، ولا تدري لعله ليس كما يظن » .

والدعامة الثانية عنده . تغليط القائل ، مثل قوله (12) : « قال ابو عبيدة : الخنذيذ من الخيل : الفحل والخصي . وغلط ، انما الخنذيذ الفائق من الخيل ، ومن كل شيء . ويقال خطيب خنذيذ ، وشاعر خنذيذ . وقال خفاف بن عبد شمس :

وبراذين كابيات واتنا
وخناذيذ خصية وفحولا

الخصية : الخصيان . فاراد منها خصيان ومنها فحول . وقال بشر بن ابي خازم في نعت فرس :

وخنذيذ ترى الفرمول منه
كطي الزق علقه التجار »

وعثرت على نقد واحد من ابي حاتم قام على عدم الثقة بمن روى الضد ، قال (13) : « قال ابو عبيدة: أسررت الشيء : اخفيته واظهرته ايضا . وكان يقول في هذه الآية : (واسروا الندامة لما راوا العذاب) : اظهروها . ولا اثق بقوله في هذا ، والله اعلم . وقد زعموا أن الفرزدق قال :

فلما راى الحجاج جرد سيفه
أسر الحروري الذي كان اضمرا

ولا اثق ايضا بقول الفرزدق في القرآن . ولا ادري لعله قال : « الذي كان اظهرا » اي كتم ما كان عليه . والفرزدق كثير التخليط في شعره ، وليس في قول نظيريه جرير والاخطل شيء من ذلك. فلا اثق به في القرآن » .

كذلك عند ابي حاتم نقد واحد قام على أن الضد من احتيالات النحويين قال (14) : « قال قوم : سوى الشيء ، غيره ، وسواه : هو هو . وقال قوم : بل سوى تكون زيادة احيانا ، كقول ابي النجم : « كالشمس لم تعد سوى ذرورها » يريد لم تعد ذرورها ، أي أن ذرت ، اي طلعت . وانشدنا ابو زيد :

اتانا فلم نعدل سواه بغيره
رسول اتى من عند ذي العرش هاديا

يعني النبي صلى الله عليه وسلم . والمعنى فلم نعدله بغيره . وقال الاخفش : اراد فلم نعدل سواه بغير سواه ، فالهاء ترجع الى سواه . وهذا من احتيال النحويين ، وكلام العرب على غير ذلك».

— * —

كتاب ابن الانباري

وصل الينا ايضا « كتاب الاضداد » لابي بكر محمد بن القاسم الانباري . وقد قدم المؤلف ـ كأبي حاتم ـ بين يدي كتابه مقدمة ، صدرها بالحمد والصلاة ، ثم عرف الاضداد ، وذكر ما دفعه الى التاليف فيها ، وقسم الكلام العربي تمهيدا لوضع الاضداد في موضعها اللائق بها ، وابان نشأتها الاولى في اللغة . ونستبين من الاطلاع عليها أن ابن الانباري ادخل في مقدمته مقدمة قطرب كلها .

وكشف ابن الانباري عن النهج الذي اختطه في كتابه ، فقال (15) : « وقد جمع قوم من اهل اللغة الحروف المتضادة ، وصنفوا في احصائها كتبا . نظرت فيها . فوجدت كل واحد منهم اتى من الحروف

---

(11) 117 .
(12) 115 .
(13) 168 .
(14) 181 .
(15) ص 13 .

بجزء . واسقط منها جزءا ، واكثرهم امسك عن الاعتلال لها . فرايت ان اجمعها فى كتابنا هذا ، على حسب معرفتي ومبلغ علمي ، ليستغني كاتبه والناظر فيه عن الكتب القديمة المؤلفة فى مثل معناه، اذ اشتمل على جميع ما فيها ، ولم يعدم منه زيادة الفوائد ، وحسن البيان ، واستيفاء الاحتجاج ، واستقصاء الشواهد » .

ووفى المؤلف من الخطوة الاولى من نهجه . فقد ذكر جميع ما فى اضداد ابن السكيت وابي حاتم، ما عدا قريبا من 30 اهملها لشكه فيها – وجميع ما فى اضداد قطرب غير 12 ضدا . وكان قطرب قد انفرد بعشرة منها ، واتفق معه ابو حاتم فى الباقيين 77، 164 . وزاد عليها اضدادا اخرى ، فبلغ المجموع 357 . وكانت هذه الزيادة وفاء منه بالخطوة الثانية من منهجه ، الى جانب ما أورده من فوائد فى اثناء الحديث عن الاضداد نفسها .

اما « حسن البيان » فظهر اولا فى الخطة التى رسمها لنفسه ولم يحد عنها تقريبا . واوجزها فى الابتداء بالتنبيه على ان اللفظ من الاضداد ثم تقديم معنييه المتضادين ، ثم اتباعهما بالشواهد ان كان بين يديه شيء منها . وها انذا افتح الكتاب عفوا ، لالتقط الضد الذى يكون فيها . قال (16) : « وتأثم حرف من الاضداد . يقال : قد تأثم الرجل ، اذا أتى ما فيه المأثم ، وتأثم اذا تجنب المأثم ، كما يقال : قد تحوب الرجل اذا تجنب الحوب . ولا يستعمل تحوب فى المعنى الآخر . اخبرنا محمد بن احمد بن النضر قال : حدثنا معاوية بن عمرو قال : حدثنا زائدة ، عن هشام قال : قال الحسن ومحمد : ما علمنا احدا منهم ترك الصلاة على احد من اهل القبلة تأثما من ذلك ، اي تجنبا للمأثم ..» وكان فى بعض الاحيان يجمع بين كلام قطرب والاصمعي فى سياق واحد ، كما فعل غيره ايضا (ربب) .

وظهر « حسن بيانه وكثرة فوائده » فى حشو المواد . فقد عني بابانه اصل الاضداد وما اتصل بها من مشتقات فى احيان كثيرة ، مثل (17) : « وقال الفراء : حسبت اصله من حسبت الشيء اي وقع فى حسابي . ثم كسرت السين منه ، ونقل الى معنى الشك ... وقال الفراء : خلت اصله من الخيال اذا تخيل لك الشيء ، ثم اعمل فى الاسم والخبر ، ونقل الى معنى الظن .. » .

وعنى فى بعض الاضداد بايراد معانيها الاخرى غير المتضادة ، مثل (18) : « الظن يقع على معان اربعة : معنيان متضادان : احدهما الشك . والآخر اليقين الذى لا شك فيه .. والمعنيان اللذان ليسا متضادين : احدهما الكذب ، والآخر التهمة . فاذا كان الظن بمعنى الكذب قلت ظن فلان . أي كذب ، قال الله عز وجل : « ان هم الا يظنون » .

واكثر فى علاجه للمواد من ايراد الاحكام والقواعد اللغوية والنحوية بشكل بارز لم نره عند من قبله . قال فى « توسد (19) » : « وانشد الفراء :

يا رب ساريات ما توسدا
الا ذراع العنس او كف اليدا

اي كان ذراع الناقة بمنزلة الوسادة . وموضع اليد خفض باضافة الكف اليها ، وثبتت الالف فيها . وهي مخفوضة ، لانها شبهت بالرحى والفتى والعصا، وعلى هذا قالت جماعة من العرب : قام اباك ، وجلس اخاك ، فشبهوها بعصاك ورحاك وما لا يتغير من المعتلة . هذا مذهب اصحابنا . وقال غيرهم : موضع اليد نصب بكف ، وكف فعل ماض من قولك : قد كف فلان الاذى عنا » . وقال : « الأون حرف من الاضداد ، يقال : الأون ، للرفق والدعة ، والأون : للتعب والمئونة ... والمئونة اخذت من الأون ، وهو التعب والنصب. والاصل فيه مأونة مفعلة، من الأون، فنقلت ضمة الواو الى الهمزة ، ويجوز ان تكون مفعلة من الأون وهو الرفق والدعة فاذا قالوا هو عظيم المئونة فمعناه : عظيم التسكين والرفق . ويجوز ان تكون المئونة مفعلة من الأين ، والأين التعب. قال الشاعر :

---

(16) 105 .
(17) 4،3 .
(18) 1 .
(19) 115 .

لا يفمز الساق من أين ولا نصب
ولا يعض على شرسوفه الصفر

واصلها على هذا القول مأينة ، فحولوا ضمة الياء الى الهمزة ، وجعلوا الياء واوا لانضمام ما قبلها ، كما قال الآخر :

وكنت اذا جاري دعا لمضوفة
أشمر حتى ينصف الساق مئزري

فمضوفة مفعلة من الضيافة ، واصلها مضيفة ، ففعل بها ما فعل بمئونة . وتكوين المئونة فعولة من منت الرجل ، فتهمز الواو لانضمامها ، كما قال امرؤ القيس :

ويضحي فتيت المسك فوق فراشها
نئوم الضحى لم تنتطق عن تفضل

فنئوم فعول من النوم ، همز الواو لانضمامها » وامثال ذلك في الكتاب كثيرة .

وعنى في الحشو ايضا باللغات . فكان يقول : « اخبرنا أبو العباس قال : يقال : هو الباز وهو البازي ، فمن قال : هو الباز ، قال في التثنية : هما البازان والجمع البيزان ، على مثال قولهم : الخال والخيلان ، ومن قال : هو البازي قال في التثنية : هما البازيان ، وفي الجمع البزاة على مثال القاضي والقضاة . قال ابو بكر : في الباز لغة ثالثة لم يذكرها في هذا الكتاب وذكرها لنا في بعض أماليه قال : ويقال : هو البأز ، بهمز الالف مثل الفأس والكأس ، وتجمعه في ادنى العدد من ثلاثة الى عشرة فتقول : ثلاثة ابؤز ، كما تقول : افؤس واكؤس . فاذا كثرت فهي البؤوز ، كما تقول كؤوس وفؤوس . فجمع القلة على افعل مثل الأفلس والأبحر، وجمع الكثرة على الفعول مثل الفلوس والبحور . قال أبو بكر : في الباز لغة رابعة ، يقال: هو البازي ، بياء مشددة تشبه ياء النسبة .. » .

وكثر في حشوه النقد وخاصة نقد قطرب وابن قتيبة . واقام ابن الانباري كثيرا من نقده على تعارض الاقوال المختلفة من اللغويين . فأورد اقوالهم وقارن بينها ليخلص الى الراي الصواب عنده ، مثل (20) : « القرء حرف من الاضداد . يقال : القرء للطهر ، وهو مذهب أهل الحجاز ، والقرء للحيض ، وهو مذهب أهل العراق . ويقال في جمعه اقراء وقروء . وقال الاصمعي عن ابي عمرو : يقال : قد دفع فلان الى فلانة جاريته تقرئها ، يعني أن تحيض ثم تطهر للاستبراء . ويقال : القرء هو الوقت الذي يجوز ان يكون فيه حيض ، ويجوز ان يكون فيه طهر ... ويقال : قد اقرأت النجوم اذا غابت . قال أبو بكر : وهذا حجة لمن قال : الاقراء الاطهار ، لانها خرجت من حال الطلوع الى حال الغيبة » وقال الاصمعي وابو عبيد : يقال : قد اقرأت المرأة اذا دنا حيضها ، واقرأت اذا دنا طهرها . قال ابو بكر : هذه رواية أبي عبيد عنهما . وروى غيره : اقرأت اذا حاضت ، واقرأت اذا طهرت . وحكى بعضهم قرأت ، بغير الف في المعنيين جميعا . والصحيح عندي ما رواه ابو عبيد » .

وقد رأينا — فيما سبق — ان ابن الانباري نقد بعض الاضداد ، لان المعنيين لصيغتين مختلفين لا صيغة واحدة مثل فعل وافعل ، او لان المعنى الثاني للفظ غير شائع الاستعمال ، او لعدم وجود شواهد تدعم المعنى الثاني . ويمكن ان نضيف اليها ما يحدد السياق معناه ، مثل (21) : « قال قطرب : من الاضداد قولهم اليت المرأة تألى ، اذا عظمت اليتها ، واليت الشاة وغيرها ، اذا قطعت اليتها . قال ابو بكر : وليس هو عندي من الاضداد ، لان كل واحد من الحرفين ينفرد بمعنى واحد ، ولا يقع على معنيين متضادين » .

واذا قارنا بين نقد أبي حاتم ونقد ابن الانباري ، وجدنا الاول منهما معتدا بنفسه ومعلوماته ، عنيفا في هجومه ، ولم نجد شيئا من ذلك عند الثاني . فابن الانباري لا يقارن اقوال قطرب او غيره من مؤلفي الاضداد بمعارفه هو كما يفعل ابو حاتم بل باقوال غيره من اللغويين . ولم يغلط ابن الانباري احدا ، ولا حجب ثقته عنه ، ولا عد اقواله من الاحتيالات كما فعل أبو حاتم . وبينا كان ابو عبيدة هدف نقد أبي حاتم الاول ، كان ابن قتيبة الهدف الاول لنقد ابن الانباري .

ومن مظاهر قدرة ابن الانباري في التمحيص حذفه ما حذف من اضداد ابن السكيت وابي حاتم . فقد حذف من الاول ارقام 14 ، 17 ، 87 ، 96 ،

(20) 8 .
(21) 322 .

100 ، 103 ، 105 . وكلها كان ابو حاتم قد حذفها غير رقم 94 الذى اورده فيما شك فيه من اضداد ، ولعل ذلك الذى دعا ابن الانباري الى تركه .

وحذف من ابي حاتم ثلاثة انواع من الاضداد : اولها ما انفرد به ، مثل 246 ، 272 ، 244 ، 266 ، 275 ، 166 ، 109 ، 242 ، 173 ، 236 . واكثرها مما شك فيه ابو حاتم نفسه ، او اقيم على اساس خاطيء 109 ، 166 ، 180 ، 236 . ثانيها بعض ما كان على صيغة فعول ، مثل 160 – 163 . ثالثها بعض ما كان على صيغة افتعل وانفعل من الاجوف ، او افتعل من المضاعف ، مثل 118 ، 175 . وكان حذفه لما حذف من هذه الصيغ اكتفاء بما ذكره هو منها لا لشكه فيها .

واخيرا وفى « باستيفاء الاحتجاج واستقصاء الشواهد » . فاتى بالانواع المختلفة من الشواهد ؛ من القرآن ، والحديث ، والشعر ، والامثال والاقوال . كما فعل سابقوه . وقد مرت علينا امثلة ذلك . وعني فى كثير من الآيات والاحاديث وتفسيرها ، بايراد سند اقواله . وكانت عنايته هذه اكبر من عناية ابي حاتم . فكان يقول (22) : « اخبرنا ابو محمد جعفر بن احمد بن عاصم قال : حدثنا هشام بن عمار قال : حدثنا ابو عبد الرحمن عثمان بن عبد الرحمن الجزري قال : حدثنا عبيد الله بن ابي العباس ، عن جويبر ، عن الضحاك قال : سأل نافع بن الازرق عبد الله بن العباس عن قول الله عز وجل : (وانتم سامدون) فقال : معناه لاهون . فقال نافع : وهل كانت العرب تعرف هذا فى الجاهلية ؟ قال : نعم ، اما سمعت قول هزيلة بنت بكر وهي تبكي عادا حيث تقول :

بعثت عاد لقيما
وابا سعد مريدا

وابا جلهمة الخير
ـر فتى الحي العنودا

قيل : قم فانظر اليهم
ثم دع عنك السمودا

وكان يأتي بالشواهد على الامور الاستطرادية فى كلامه . ويعلق على الشواهد ويشرحها ويطيل احيانا ، وقد يبين ما فى الشواهد الشعرية من روايات . قال مثلا فى مادة « ماتت بجمع » (23): « وقال الشاعر يذكر ماء ورده :

وردناه فى مجرى سهيل يمانيا
بصعر البرى من بين جمع وخادج

فالجمع : التى فى بطنها ولد ، ويقال : بجمع بكسر الجيم . والخادج : التى القت ولدها ويقال : قد خدجت الناقة تخدج اذا القت ولدها قبل اوان النتاج وان كان تام الخلق ، واخدجت تخدج اذا القته ناقص الخلق وان كان لتمام » . وقال فى « طرب » (24) : « وقال لبيد فى معنى الحزن .

واراني طربا فى اثرهم
طرب الواله او كالمختبل

معناه : واراني حزينا . ويروى : او كالمحتبل ، بالحاء : اي كالذى يقع فى حبالة الصائد » . والشواهد فى الواقع كثيرة عنده جدا ، معنى بها لدرجة كبيرة . فكان يستقصي الاستشهاد على جميع اضداده . ولم يترك منها الا الاضداد التى نقلها عن غيره بدون ان يكون مستشهدا عليها ، او فى المعاني المشهورة . وكان يصرح بانه لا يستشهد على المعنى المشهور ، لانه ليس فى حاجة الى ذلك . فكثيرا ما ترى هذه العبارة التالية عنده :

«لا يحتاج فيه الى شاهد لشهرته عند الناس ». او « لا يحتاج مع شهرته الى ذكر شواهد له » او « شهرته تغني عن اقامة الشواهد عليه » وما ماثلها.

يتضح من كل ذلك ان قول دائرة المعارف صحيح حين وصفت اضداد ابن الانباري بانها اهم كتب الاضداد . فهذا الكتاب قريب من كتاب ابي حاتم ، ولكنه يفوقه فى كثرة المواد وحسن العلاج ، وكثرة الشواهد وتنوعها ، ودقة النقد وكثرته ، وفى الاستطرادات التى تحوي كثيرا من الفوائد النحوية ، عن ائمة الكوفة .

---

(22) 17 .
(23) 152 .
(24) 57 .

ولا يعيب الكتاب غير بعض الاختلال ، الذى كان له اربعة مظاهـــر :

1 ــ الاضطراب : فالمؤلف ينظم صيغة فعـول لان قطربا نظمها ، ولا ينظم فعيل ، لان هذا لم ينظمها . وابو حاتم نظـم صيغتي افتعل وانفعل من الاجوف والمضاعف ، والمؤلف لا يفعل ذلك (262 ، 263) . ولا يبين انها قاعدة عامة فيما جاء على هذه الصيغة . ويذكر ابن الانباري كثيرا من الالوان على انها اضداد ، ولكنه يفرقها فى اماكن مختلفة ، وحقها الجمـع فى موضع واحد . ونتج عن هذا تكرار الكلام عن بعضها . وينطبق الكلام نفسه على الحروف والادوات التى عدها من الاضداد . ويتصل بذلك تفريقه اشباه الاضداد ، وكان واجبا عليه ان يفصل الاضداد ، عن اشباهها ، ويضع كلا منها على حدة .

2 ــ التكرار : مثل الاخضر (223 ، 245) وطلع (202 ، 257) وزءوم (230 ، 259) كـرر الكلام عنها فى الموضعين مع اتفاق السياق على وجه التقريب فى (طالـع) واختلافـه فـى (الاخضر) و (زءوم) . وكرر عن فزع ايضا (129،182) وان اختار فى المرة الاولى صيغة (فزع ومفـزع) وفى الثانية (فزع) .

3 ــ اضداد لا ينبه فى صدرها علـى ذلـك ، ويبتديء فى علاجها مباشرة ، مثل نـاء (94) حتى اضطرب الناشر المصـري الاول فيها ، واتى بها فى تضاعيف الكلام عن سابقتها (124) كانمـا ليسـت مادة جديدة .

— * —

كتـاب ابي الطيـب اللغـوي

ظهرت اول محاولة لترتيب الاضداد على يد ابي الطيب عبد الواحد بن على اللغوي الحلبي المتوفـى عام 351 هـ . فقد اطلـع هذا اللغـوي على كتـب الاضـداد السابقة ، وجمعها امامه ، ثم نظر اليها نظرة ناقدة ، خرج منها بكتابه . واذن فقد كان يرمي ابو الطيب الى « احكام تصنيفه ، واحسان ترصيفه ، والزيادة على ما ذكر منه ، والغاء ما خلط من غيره فيه ، لتقوى منة القائليـن به ، ويضعـف قـول النافين له » كما يقول فى مقدمته . ويدلنا هذا على ان حركة التاليف فى الاضداد نضجـت ، ووصلـت الى مرتبة التفلسف والنقد ، بدلا من الاقتصار على الجمع .

وتبين هذه النظرة المدققة الناقدة فى منهـج المؤلف ، اذ قسم كتابه الى قسمين : الاول للاضداد المرضية عنده ، والثاني للاضداد التى ادخلها السابقون وليست من الاضداد فى حقيقتها . قال فى مقدمته : « وترى من سبقنا الى هذا الكتـاب قد ادخـل فيه ما ليس منه ، مما نحن ذاكرو صدر منه فى آخره بعد الفراغ من المقصد فيه » .

اما الاضداد المرضية ، او القسـم الاول مـن الكتاب ــ وهو الاكبر ــ فرتبه فصولا بحسب حروف المعجم . ووضع فى كل فصـل الالفـاظ المبـدوءة بالحرف المعقود له الفصل معتبرا الحرف الاصلـي فيها . قال فى المقدمة : « وقد راينا ان نبوبه على حروف المعجم ، اذ كانت همـة اهل زماننـا مقصورة عليه ، وقلوبهم مائلة اليه ، وخير ما تحرى ما نفع . وافضل ما انتدب له ما شفى ونجع » . ولكن ابـا الطيب اكتفى بترتيب الفصول ، ولم يحاول ترتيب الالفاظ نفسها فى داخلها .

والقسم الثاني من الكتاب ، الخاص بما ادخله السابقون من اضداد ليست منها فى الحقيقة ورتبه ابوابا . كل باب منها خاص بنوع من هذه الاضداد . وبلغ عددها اربعـة ابواب ، أولها لما استـوى فيـه الفاعل والمفعول من صيغة مفتعـل ومنفعـل مـن الاجوف ، وثانيها لما استوى فيه الفاعل والمفعـول من المدغم العين فى اللام ، وثالثها للمجازي ، ورابعها للمقلوب . والبابان الاولان مرتبان على الحرف الاول ايضا ، اما الاخيران فغير مرتبين ..

وحين يلقي المرء نظرة على هذا الكتـاب يجـده مفتتحا بمقدمة قصيرة ، تستهل بعد الحمد والصلاة بما تحراه المؤلف فى كتابه من احكـام التصنيـف واحسان الترصيف ... ثم تعريف الاضداد ويختمها بمنهجه والدعاء .

وتبدأ الاضداد بعنوان « الالف » الذى يشير الى فصل الالف بالطبع .

ولم يسم المؤلف هذه المجموعـات « فصـولا » ولكني وهبتهاهذا الاسم للتيسير .

ويظهر منذ الضد الاول تحري ابي الطيب الجمع والاستقصاء ، اذ يقتبس فيه من جميـع السابقيـن

عليه . قال : « قال ابو زيد : يقال : امر أمم : اذا كان عظيما ، وامر امـم : اذا كان صغيـرا . وقـال الاصمعي : امر أمم : اي قصد . وقال ابو عبيدة : الامم : القريب . وقال عمرو بن قميئة فى الصغير :

يا ليف نفسي على الشباب ولم
افقـد بـه اذ فقدتـه اممـا

وقال الاعشى :

لئن قتلتم عميدا لم يكـن اممـا
لنقتلن مثلـه منـكم فتمتثـل

قالوا : معناه لم يكن صغيرا حقيرا . وقالوا : بل لم يكن قصدا . وانشد قطرب فى معنى القصد :

اتانـي عن بنـي الاحـرا
ر قـول لـم يكـن اممـا
ارادوا نحـت اثلتنـا
وكنـا نمنـع الخطمـا

وانشد ابو عبيدة فى معنى القريب :

يا ليت شعري عنك والامـر امـم
ما فعل اليوم اويـس فـى الغنـم

قال ابو حاتم : اظنه والامر قصد ، وانشد فى معنى القريب :

« قومي اياد لو انهـم امـم »

اي لو انهم قريب . وقال الآخر :

كوفيـة نـازح محلتهـا
لا امم دارها ولا صقـب

ويروى : « لا سقب » بالسين ايضا : وهو القريب : ولذلك قالوا : دار فلانة مسقبة بدارنا : اي قريبة منها . وفى حديث الشفعة : « الجار اولى ـ او احق ـ بسقبه » : اي بما دنا منه وقرب من داره » . ذكر ابا زيد ، والاصمعي ، وابا عبيدة ، وقطربا ، وابا حاتم .

ونستخلص من دراسة اضداد ابي الطيب الظواهر التالية :

الانتظام : فقد بذلت الاضداد عنده نضجها فى الدراسة ، وغايتها فى الانتظام الداخلي . فالمعاني تقدم فى مفتتح المادة ، ثم ترد الشواهد على المعاني . ثم تعالج المادة كلها .

وتكثر الشواهد وتتنوع عنده بصورة لا تخطئها عين . فيعتمد على الشعر كما راينا فى المادة السابقة . ويعتمد على القرآن كما نرى فى قوله (25): « ومن الاضداد بطانة الثوب . يكون بمعنى البطانة ، وبمعنى الظهارة . وقال الحسن فى قول الله تبارك وتعالى : « بطائنها من استبرق » قال : اراد ظواهرها . قال قوم : لان كل واحد من الظهارة والبطانة يكون وجها . تقول العرب : هذا ظهر السماء ، وهذا بطن السماء ، للذى نرى منها . وقال الزبير فى قتلة عثمان رضي الله عنه : « ونجا من نجا منهم تحت بطون الكواكب » يعني هربوا فى البلاد. وقال آخرون فى هذه الآية : انما اراد الله تعالى ان بطائن هذه الفرش من استبرق ، وهو الغليظ الفاخر من الديباج ، فالظهائر اشرف واعلى . والله اعلم بكتابه » .

ويعتمد على الاحاديث ، مثل قوله فى مادة باع (26) : « وروى ابن شهاب ، عن سالم بن عبد الله ، عن ابيه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « من باع عبدا وله مال ، فماله الذى باعه الا ان يشترط المبتاع » اي المشتري. فالمبتاع يكون بمعنى البائع ، والمبتاع يكون بمعنى المشترى ، والمبتاع يكون بمعنى المبيع ، والمبتاع يكون بمعنى الشيء المشترى. وفى حديث رواه ابن سيرين ، عن شريح ، عن ابن مسعود قال : اذا اختلف البيعان ـ يعني البيع والمشتري ـ والبيع قائم بعينه ، فالقول ما قال البائع ، او يترادان البيع » . يعني بالبيع الشيء المبيع . وفى حديث آخر : « البائعان بالخيار » يريد البائع والمشتري .. وفى حديث آخر رواه ابن

(25) 67 . وانظر فهارس الكتاب .
(26) 47 . وانظر الفهارس .

مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم : « اذا اختلف المتبايعان استحلف البائع ، ثم كان المبتاع بالخيار » .

ويعتمد على اقوال الصحابة، كما راينا فى ظهر، وكما نرى فى قوله (27) : « يروى عن حذيفة انه قال حين حضرته الوفاة : بيعوا لي كفنا ، اي اشتروه لي » .

ويعتمد على اقوال الاعراب والاقوال المتبادلة بين الناس فى حياتهم اليومية ، كما راينا فى ظهر ، ونرى فى قوله ايضا (28) : « ذكر اعرابي جريرا فقال : كان سفسيرا اي حاذقا بالشعر » .

ويعتمد على الامثال ايضا (29) : « وبشرة الانسان : ظاهر بدنه عندهم جميعا ، والجمع بشرات وبشر ... ابو زيد : تقول العرب فى مثل: « اراك بشر ما احار مشفر » وبعضهم يقول : اولج مشفر . قال : سمعتها من رجل من بني اسد يقول : ما اكلت استبان على بشرتك وفى لونك » .

وكثيرا ما كان يورد تعليقات على الشواهد توضحها ، كما نرى فى قوله : « وقول الشاعر :

امك بيضاء من قضاعة فى الـ
ـبيت الذى يستظل فى طنبه

اراد نقية من المعائب ، ولم يرد ان يصف لونها. وكذلك قوله :

امك بيضاء من قضاعة قد
تمت لها الوالدات والنضد

النضد ها هنا : الاعمام والاخوال .. » .

ونسب كثيرا من الشواهد الى من انشدها كما راينا فى امم : ونرى فى قوله : « الامين : المؤتمن، والامين المؤتمن، بمعنى الفاعل وبمعنى المفعول . وانشد ابو حاتم للنابغة فى معنى المفعول به .

وكنت امينه لو لم تخنه
ولكن لا امانة لليمانى »

واغترف ابو الطيب من اضداد سابقيه ، وما اتوا به فى سبيل تفسيرها وتعليلها ونقدها والاستشهاد عليها . وكان حريصا كل الحرص على نسبة كل قول الى قائله ، حتى فى الاحوال التي لم يلتزم فيها عبارة واحد منهم ، وجمع بين عباراتهم ، اشار الى ذلك . فكان اكثر من جمع بين عبارته قطرب وابو حاتم . وجمع ايضا بين التوزي ، وقطرب وابي عمرو ، وقطرب وابي عبيدة . وجمع احيانا بين اقوال ثلاثة منهم معا، مثل قطرب وابي حاتم والتوزي، وابي عبيدة وابي زيد والاصمعي .

وكانت الثمرة الطبيعية لهذا ان كثرت الاضداد عنده كثرة هائلة تعادل كثرتها عند ابن الانباري ، وان تمثلت فى كتابه جميع الظواهر التى وجدت فى كتبهم ، فى الاضداد والشواهد والتفسير . بل ان ما جاءوا به ولم يرض عنه لم يخل كتابه منه ، وجمعه فى آخر الكتاب .

ولكن ذلك لم يلغ شخصية ابي الطيب . فما اكثر تعليقاته الشخصية التى يورد بعضها عن لغويين آخرين ، ويأتي ببعضها من معارفه العامة ، ويقصد فيها الى زيادة التوضيح ، والاعتراض ، والنقد ، والترجيح ، وما الى ذلك من امور .

والحق انه يعادل كتاب ابن الانباري قدرا واهمية . ويفوقه فى اتجاهه الادبي ، وكثرة شواهده وتنوعها ، وكثرة الاحاديث عنده ، وفوائده التى اضافها ، واصراره على نسبة كل قول الى صاحبه ، وما ادخله على الاضداد من ترتيب . اما ابن الانباري فيفوقه فى القرآنيات ، والعلل اللغوية والصرفية ، والعبارات المؤلفة .

— * —

كتاب ابن الدهان

اعلن ابن الدهان فى مقدمة اضداده انه نظر فى كتب السابقين عليه ، فوجد فيها اختلالا : اذ يذكرون ما يجب عليهم حذفه ، ويتركون ما يجب

(27) 45 . وانظر الفهارس .
(28) 45 . وانظر الفهارس .
(29) 74 . وانظر الفهارس .

عليهم ذكره ، ووجدها مشحونة بالشواهد . فاستهدف ان يخرج مختصرا حاويا للاضداد مجردة عن كل شيء . فهدفه الجمع والاختصار . ثم رد على من انكر الاضداد . واتبع ابن الدهان ما فعله ابو الطيب في ترتيب اضداده ، فلم يراع فيها غير الحرف الاصلي الاول واهمل بقية الحروف .

ولا يزيد الكتاب عن قائمة توردُ اللفظ الضد يليه معنياه . وعلق من وقت لآخر على بعض الاضداد بعبارة « وفيه نظر » دلالة على شكه فيه . وطبيعي ان الكتاب حوى الانواع المتعددة من الاضداد ، بسبب اعتماد المؤلف على الكتب السابقة ، التي اشار منها الى كتب الاصمعي والفراء وقطرب وابن السكيت وثعلب والسجستاني وابن الانباري .

وامثل لنهج الكتاب بما يلي :

« الأمين : المؤتمن والمؤتمن .

المأتم : النساء يجتمعن في الحزن ، وفي الفرح ، وفيه نظر .

اذ : للماضي والمستقبل ، وفيه نظر .

اذا : للماضي والمستقبل ، وفيه نظر .

الأمم والأمم : الحقير والعظيم .

الآشرة : الآشرة والماشورة » .

— * —

كتاب الصغاني

في اوائل القرن السابع ، اخرج الصغاني كتابا في الاضداد ، وصل الينا بتحقيق الاستاذ الدكتور هفنر Dr August Haffner ويفتتح الكتاب بالعبارة التي يبدو ان الصغاني كان يفتتح بها كتبه جميعا مع البسملة والحمد ، والتي تدل على اعتكافه في المسجد الحرام ..

وصرح المؤلف في مقدمته بانه قرأ جميع كتب الاضداد ، وذكر ما فيها ، مع تحري الاختصار والترتيب على حروف الالفباء ..

ولم اعثر قبل الصغاني على كتاب في الاضداد مرتب على الحروف في جميع الفاظه ، فلعله اول من فعل ذلك . وكان ينظر في ترتيبه هذا الى اوائل الحروف ، فحروفها الثانية ، فالثالثة فالرابعة اي الترتيب الحديث المعروف لنا ، مع تقديم الواو على الهاء . وكان لا يعتمد في ترتيب الالفاظ الا على حروفها الاصلية . اما الزائدة فلا اعتبار لها عنده . ويبدو من عباراته الاخيرة انه تحرى الجمع وتدوين ما وضعه السابقون في كتبهم بدون تمحيص او نقد ، فهو لا يقبل المرضي وحده ، ويحذف المشكوك فيه ، بل يقبلهما معا . وقد اشار الى ذلك مرة ثانية في خاتمة كتابه القصيرة التي قال فيها : « آخر كتاب الاضداد ، ولله الحمد والمنة . وفيه كلمات ليست هي عندي من الاضداد ، ولكني قفوت فيه آثار من سبقني الى جمعها مثل ابن الانباري وغيره ، حذار ان يقال : اهمل شيئا مما اثبتوه ، فليمهد العذر العاثر عليها ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه كثيرا » .

وحين ندرس الكتاب لنرى مقدار وفائه بوعوده نراه في الخطوة الاولى جمع 337 ضدا ، ولكنه لم يذكر كل ما في اضداد قطرب وابن السكيت وابي حاتم وابن الانباري . فقد حذف من الاولى حوالي 67 ضدا ، ومن الثانية حوالي 10 اضداد ، ومن الثالثة حوالي 55 ومن الرابعة حوالي 40 ضدا . واتى في مقابلها بقريب من 75 ضدا ، ليست في هذه الكتب الثلاثة . ولا يقوم هذا الحذف على اساس الشك والنقد ، اذ لم يحاول المؤلف ذلك بتصريحه . اضف الى ذلك ان كثيرا مما حذفه رواه غير واحد من مؤلفي الاضداد (20 ، 225 ، 217 ، 77 ، 226 ، 193 ، 205 ، 60 ، 219 ، 127 ، 210، 185، 85 214، 218 ، 213 ، 24) . ولكن تجب الاشارة الى ان كثيرا مما حذفه خاطيء (231 ، 180 ، 166 ، 109 ، 255 ، 286) او مشكوك فيه (259 ، 246 ، 272 ، 273 ، 244 ، 270 ، 266 ، 118 ، 275 ، 252 ، 265 ، 243 ، 242 ، 257 ، 271) او انفرد به قائلوه (16 ، 100 ، 105 ، 96 ، 17) واكثر ما حذفه من اضداد ابن الانباري ، او ينطوي تحت صيغ فعول (60 ، 158 ، 159 ، 161 ، 162 ، 163 ، 164 ، 165) او فعيل 203 ، 204 او افتعل (175) .

اما المنهج الذي سار عليه فغاية في البساطة : ايراد اللفظ ومعنييه المتضادين . ولا عناية بما بعد ذلك . فلا ذكر للغويين الذين يأخذ عنهم الا قليلا (490، 688، 706) ولا ذكر لشواهد، ولا لمشتقات ولا لمعان اخرى للاضداد ، ولا لفوائد وزيادات واحكام وقواعد . فالكتاب يمكن تسميته « متن الاضداد » . وهاك بعض الامثلة :

« الابض : السكون والحركة .

الأبـــل : الرطب واليبـــس .

المأتـم : النساء المجتمعات على الحزن وعلى الفـرح .

الارة : الحفرة التى تحفر للنار ، والنار نفسها ايضـا .

الأزر : القوة والضعف .

أسـد : اذا جزع وجبن ، واذا جسر كالأسد .

افـد : اذا اسرع واذا ابطـأ .. الى آخـر الكتـاب » .

ولكننا نأخذ عليه اضطراب ترتيب بعض الالفاظ عنده . فقد قدم « أون » على « أور » و « تصدق » على « صامت » و « قانـت ـ قنيـص ـ قانـع قنوع » على « قموء » والعكس اصح . كما قدم « ناء » فى أول حروف الواو اذ ذكرها مع تاء المتكلم « نؤت » والأصح وضعها فى النون مع الواو .

— * —

كتـاب عبد اللـه بـن محمـد

تقتني دار الكتب المصرية رسالة صغيرة جدا فى الاضداد عنوانها : « ذكر بعـض الاضـداد التى ذكرت فى القاموس « جمع من يسمى « السيد عبد الله بن محمد ...» . تحت رقم 241 مجاميع وهي ورقات ، ناقصة من آخرهـا . اذ وقفت فى اثنـاء مادة « القتين » .

وواضح من عنوانهـا ان المؤلف جمع ما فيهـا من اضداد من القاموس المحيط للفيروزابادي وحده وقد سار المؤلف على ترتيب القاموس ، اذ يبدو انه فى اثناء اطلاعه كان يدون كل لفظ من الاضداد يعثر عليه . ولم يختر المؤلف الاضداد التى نبـــه عليها الفيروزابادي وحدها ، بل اختار ايضا الالفاظ التى روى لها معنيين متضادين دون تنبيه على انها مـن الاضداد . ولم يغير المؤلف فى ترتيب الالفاظ التى اختارها من القاموس ، فبقيت على ترتيبها فيه ، أي على الحرف الاصلي الاخير اولا ، فالحرف الاصلي الاول ثانيا ، فحروف الوسط الاصول مرتبة ..

وسار المؤلف ايضا على نهج القاموس فى العناية بالتفسير وحده ، وحذف الشواهـد . فكان يـورد اللفظ ثم معنييـه المتضاديـن . وكـان فى غالـب الاحيان يحافظ على نص القاموس ايضا . وهذه بعض الامثلة من باب الهمزة منه ، تؤكد ما سبق من اقوال: « ثأثأ الابل : عطشها وارواها . وثأثـأت : عطشـت وريت . جفأ الباب : اغلقه وفتحه كأجفاه . خجيء : استحيا وتكلم بالفحش . وأدأ الشيء : حركه وسكنه. داراته : دافعته ولاينته . رقأ بينهم : افسد واصلح. القرء : الحيض والطهر . ناء بالحمل : نهض مثقلا ، واثقل فسقط . وراء : خلف وقدام » .

— * —

كتـاب محمـد المدنـي

تقتني المكتبة السليمانيـة بالاستانـة رسالـة اخرى فى الاضداد للشيخ محمـد المدنـي ، تماثل الرسالة السابقة او تكاد ، تحت رقم 1041 . وليس للرسالة مقدمة تبين هدفها ولا منهجها . ولكن لها خاتمة اخذ جزءا منها من المزهـر للسيوطـي ، ومن اضداد ابن الانباري . وصرح فيها : « وقد تتبعت القاموس وغيره من كتب اللغة ، واستخرجـت مـا صادفته ، ولم ادع الاحاطة » .

وعند مقارنة مادة هذه الرسالة بمادة الرسالـة السابقة لا نجد بينهما فرقـا يذكـر ، لاعتمادهمـا الرئيسي علـى القامـوس المحيـط فى الاضـداد ، وترتيبها وتفسيرها . ومثال ذلك قوله :

ثأثأ الابل : ارواها وعطشها ضد . وثأثأت الابل عطشت ورويت ضد . جفأ الباب : اغلقـه كأجفـاه وفتحه ضد . داراته : داريته ودافعته ولاينته ضد . رقأ بينهم رقأ : افسد واصلح ضد . القرء ، وبضم : الحيض والطهر ضد » .

— * —

دورق الأنـداد للأبيـاري وشروحـه

وفى أوائل العصر الحديث شارك الشعـر فى حركة الاضداد ، فألفت فيهـا الرسائـل المنظومـة ووصل الينا من هذه الحركة رسالتـان . اولاهمـا المسماة « دورق الانداد فى نظم اسماء الاضـداد »

للسيد عبد الهادي نجا الابياري المتوفى عام 1305 هـ. وقد الفه قريبا من عام 1297 ، اذ تمت النسخة الثانية منه على يد الناظم فى ضحوة يوم الثلاثاء تاسع شوال من ذلك العام ، كما تصرح نسخة دار الكتب المصرية ، التى تحت رقم 844 لغة .

والسبب الذي دفع الابياري الى تأليف نظمه اعانة الادباء الذين يرمون الى التأنق بالجناس والتورية والمحسنات . واما المراجع التى اعتمد عليها فالقاموس المحيط للفيروزابادي وشراحه ، قال الناظم فى مقدمة قصيدته :

وقد تيسر لي فى جمعها جمل
تجمل المجتني من روضها كلما

كل الذى ذكر القاموس جئت به
الا الذى بصري قد زاغ منه وما

وزدت اشياء من شراحه وسوا
ها ، هكذا منه، لكن بالذي فهما

حتى ظننت بأن لم يبق قط من ال
أضداد شيء، ولكن يا اخي ربما

وشرح لنا الناظم منهجه فى المقدمة ايضا ، فعرفنا بانه لم يلتزم الالفاظ الواضح تضاد معانيها وحدها ، بل ذكر ما اورده غيره ولو كان فيه تجوز وتوسع ، وان نقده فى احيان اخرى ، قال :

وربما كان فى بعض الذى ذكروا
تسامح بعموم او بما لزما

فاقتفي اثرهم طورا ، وآونة
ابدي الذى يتراءى فيه للفهما

ولم يلتزم ايراد المعنيين المتضادين فى كل لفظ من الاضداد ، بل حذف احيانا المعاني المعروفة المشهورة واكتفى بايراد المعاني غير المعروفة ، قال :

طورا اجيء بكل المعنيين وطو
را بالذى كان مجهولا ومنبهما

فان تعددت الاضداد جئت بما
يغني عن الضد من كل ، لينفهما

ويريد بالبيت الثاني ـ كما نص شارحه ـ : « ان كثرت الاضداد بأن كان اللفظ مشتركا بين اربعة معان مثلا ، كل معنيين منها متضادان ، جئت من الأربعة مثلا ، بما يغنى عن الضد من كل منها وذلك اني اذكر معنيين فقط : كل منهما محذوف الضد لينفهم المحذوف بالمذكور » .
وسار فى ضبط الفاظه على هدى القاموس المحيط ، قال :

ينبيك قاموسها بالاصطلاح لها
اذ منه مرجانها واللؤلؤ انتظما

ما كان مهملا اومفتوحا اوله
اطلقته وضبطت الغير معتصما

والوزن فيما له قد حركوا اوله
قد سكنوا مؤذن بالضبط للفهما

فان ضرورة شعر قد دعت لسوى
هذا ، اشرت اليه خوف ان تهما

واتبع ترتيب الفيروزابادي وتقسيمه لقاموسه، فالكتاب مقسم الى ابواب بحسب الحرف الاخير للكلمات التي فيها . وترتب الكلمات فى داخل هذه الابواب بحسب حروفها الاولى فالوسطى . ولكن الشعر ارغمه احيانا على الاخلال بهذا الترتيب فى داخل الابواب لا بين الابواب . اعني الاخلال فى ترتيب الحروف الاولى ، او الحروف الوسطى ، اما الحروف الاخيرة فلا .

وهاك قدرا مما قاله الناظم فى « باب الهمزة » لتبرز معالم منهجه :

بغرة الشهر فسر **البراء** كذا
بالانس **فسر بساء** واكسرن لهما

ثم البلاء لمنحة أتى ولمحـ
ـنة ، كما جاء فى القرآن منفهما

ثائات ابلى : اي ارويتها ، وكذا
ثائات هي : اي اضحت ذوات ظما

والاجتداء بسؤال فسروا وعطا
كذا **الجداء** ، قاله القالي عن العلما

واجفـيء الباب : اغلقـه ، **وداداه**
معناه حرك ، والتسكين قد فهمـا

دارات خصمي ـ مهموزا، كذاك بيا ـ
دافعتـه ، وكـذا لاينتـه كرمـا

وقام المؤلف نفـه بشرح قصيدته فى كتاب سماه « الرونق على الـدورق » اكثـر فيه واطـال واستطرد . ولكنه ـ فيما يبدو ـ لم يتمه ؛ وانمـا اعطانا وصفه احمد بن احمد بن اسماعيل الحلواني ؛ فى مقدمة شرحه للدورق . قال : « وكان ـ حفظه الله ـ قد ابتدا شرحه الموسوم بالرونق على الدورق، لكنه طال وسار بل سال ، فى رياض الادب الفوال ، عن يمين وشمال . فانه التزم فيه تحـف المناسبات الظريفة ، طرق الاستطرادات الشريفـة ؛ وحقـق ودقق ، ونمق وانق ؛ وحرر وحبر ، ونضد ونضر ، ونثر الدر والجوهر ، فاكثر ... فقد رايت منه اربعة كراريس ، يبذل الاديب فى مثلها النفس والنفيس . ولكنه زهر فى الاكمام ، وطفل لم يبلغ حد الفطام..»

ورجا المؤلف من الحلوانـي ان يؤلـف شرحـا مختصرا على قصيدته . فحقق الرجاء بكتابه الذى تحتفظ دار الكتب المصرية بمسودته تحت رقم 844 لغة ، بعنوان « الكاس المروق على الدورق » ، وقد فرغ منها « يوم السبت الخامس والعشرين من صفر سنة اثنتين وثلاث مئة والف من الهجرة الشريفة ».

وحدد الحلواني خطوات منهجـه بقولـه فى مقدمته : « فشرعـت فى الشـرح ومـا اطيلـه ، فالمقصود الدورق وهو سبيله . الا اني ان ظفـرت بشيء من الاضداد ، فى باب من الابـواب ، فاني اذكره تتميما للمراد ، فى خاتمة ذلك البـاب . ولا التزم فى اخذه من نحو القاموس او تاجه : ان تكون نصا فى الضدية ، سيراجع الدورق فى منهاجه من اعتبار العبارة الاشارية . ولا التزم ايضا الاستقصا ، فاني ان رمته استعصى ، كيـف واللغـة بعيـدة الساحل ، مديدة المراحل ؟ ... ولكن ما جاء عفـوا اخذته صفوا . ثم لا تراني معاذ الله اعمد الى مقام مشهور ، مجته اسماع الجمهور ، فاسود به وجـه السطور ، فذلك مما ينفر الطباع ، ويكدر الاسماع ، ويكون عارا لا يمحوه اعتذار ولا استشفاع ، اللهم الا ان كان من الحقوق الواجبة ، او سيق لمناسبـة ، او نكتة مناسبة ، فالشيء بالشيء ، والشمس بالفيء ، فهذا لا اتحاماه ، بل احمي حماه ، واتقي اذاه ، الى ما ستراه ، ان شاء الله ، من الالماع، بمـا يسحـر الاسماع، من تحقيقات شريفة ، وتدقيقات ظريفة .. تراها مرة شرعية ، وكرة ادبية ، وطورا يمانية ، وحينا معدية ... يرتاح اليها الفقيـه ومن حـذا حذوه ، واللغوي ومن نحا نحوه ..» .

وداب الرجل فى هذا الشرح على معالجة نص الناظم نحويا وعروضيا وتفسيره تفسيرا كاملا ، وتناول كل ما عن له من مشاكل فى النص . فهو يقوم على طريقة المتون والشروح والحواشي التى كانت تسود العهود الاخيرة من تاريخنا . وصدر كل باب بكلمة عن عنوانه .

منبـه الـرقـاد

تملك دار الكتب رسالة اخرى فى نظم الاضداد، تحت رقم 329 لغة ، باسم « منبه الرقاد فى ذكـر جملة من الاضداد » لا يعـرف مؤلفهـا . وقد تـم نسخها يوم الثلاثاء الموافق لآخر يوم من شهر رمضان سنة اربع وثلاث مئة والف ، كما فى آخرها .

وتختلف هذه القصيدة عن السابقـة فى عدة مظاهر ، اولها ان هذه من المزدوج الـذى يقفـي شطراه وحدهما ، وتختلف القافية فى الابيات بعـد ذلك . اما السابقـة فكانت من بحـر البسيـط ، والتزمت فى رويها الميم المشبعة الفتحة . واتفـق الاثنان فى الابتداء بمقدمـة شرح كل منهمـا فيهـا منهجه . ولكن المنهجين لا يتفقان تماما . فقد صرح ناظم هذه القصيدة بعد الحمد والصلاة بأن قصـده بها علمي هو تنبيه الغافلين والجاهلين ـ ومـن ثـم اسمها ـ على حين كان مقصد الابياري ادبيا علميـا كما راينا . يقول ناظمنا :

وبعد فالقصد بهـذا النظـم
تنبيـه كـل غافـل وامـي
سميتـه منبـه الرقـاد
فى ذكر جملة من الاضـداد

وأراد ناظمنا ـ كما اراد الابيـاري ـ الجمـع ورجع فى سبيله الى القاموس والصحاح وكتب ابن ابن جني على حين رجـع الابيـاري الى القامـوس وشروحه . يقول الناظم فى المقدمة :

احسب ما وجدت منها مع قصور
وغيبتي عن فنها مع الحضور

واحسب هنابمعنى اعد ، ويقول فى الخاتمة :

معتمدا ضبطي على القاموس
لانني فى الفن كالبابوس (30)
وفى الصحاح جاعلا مجني
وربما اخذت فى ابن جني

وجعل من خطته ذكرا للمشتقات المرتبطة بالاضداد وخاصة المصادر والصفات ، على عكس الابياري يقول :

وربما اومي للاشتقاق
والقيد ان كان وللاطلاق
وللمصادر فاضبط الكلم
والوصف مع بعض اللغات المنبهم

وخصص الجزء الاخير من قصيدته للالفاظ المتماثلة ـ اي الكلمات المتماثلة المعنى مع تغير بعض حروفها بالابدال ـ والمقلوبة ، يقول :

وللمماثلين والمقلوب
عونك يا مقلب القلوب

ولجأ فى تقسيم قصيدته الى التقسيم الذى ارتضاه صاحب القاموس ، والابياري . فالقصيدة مقسمة الى ابواب بحسب الحرف الاخير من الاضداد التى يحتوي عليها كل باب ، والالفاظ ترتب فى داخل الابواب بحسب حروفها الاولى ، واواسطها ولكن الترتيب كثيرا ما افلت منه فى داخل الابواب.

وختم القصيدة بخاتمة اشارت الى انتهاء ما يريد نظمه ، واشياء من منهجه ، والدعاء الى الله ان يغفر ذنوبه ، والصلاة على الرسول وآله وصحبه والتابعين .

وهذا باب الهمزة منه ، يمثل تناوله ونظمه :

ثانأ ذا ابله : ارواها
كذا اذا اغرى بها صداها

وثاثات هي : اذا ما رويت
يوم ورودها ، كذا ان عطشت

وجفا الباب : اذا ما اغلقه
كذا اذا فتحه : فحققه

دارات ذا : دفعته لشره
كذا اذا لاينته لعسره

رقا : افسد واصلح ، خذ
والمصدر الرقؤ، والرقا انبذ

والقرء، بالفتح وبالضم اتى
يكون للحيض وطهر ثبتا

وناء زيد : خف او قد ثقلا
فعجز الحال به بين الملا

ثم **الورا** بهمز لا اعتلال
يكون خلف وامام تالي

عكس الذى توهم الامام
الجوهري العالم الهمام

ويتضح من هذه الابيات ان الناظم خالف الابياري فى عدة مظاهر : اهمها التزامه ذكر المعنيين المتضادين فى كل نفظ ، عدم التزام قافية واحدة فى جميع الابيات ، ثالثها الاشارة الى المشتقات مثل مصدر الرقؤ ، رابعها الضبط واللغات فى القرء ، خامسها نقد الجوهري فى « وراء » اذ جعلها مع المعتل واصلها الهمز ، وقد اخذ هذا النقد من الفيروزابادي ، سادسها انه يترك بعض الاضداد التى ذكرها الابياري، اي عناية الاخير باستقصاء الاضداد اشد من عناية صاحب « المنبه » . ومن اهم اوجه الخلاف ايضا شعور المرء ـ بان قصيدة صاحب « المنبه » اشد سلاسة ، واعظم وضوحا ، واقل تكلفا من قصيدة الابياري .

وهناك اوجه خلاف اخرى لم تظهر فى الابيات السابقة ولكنها ظاهرة فى القصيدة كلها ، اهمها اهتمام صاحب « المنبه » بذكر المعاني التى لا تدخل فى المعنيين المتضادين للاضداد مثل قوله :

---

(30) ولد الناقة ، والصبي الرضيع .

الأزر للضعف والقوة قل

وللاحاطة وللظهر نقل

فمعاني الشطر الثاني لا تدخل في الاضداد ، وقوله :

وبتر الرجل : اعطى ومنع

كذا اذا على الضحى حين طلع

فصلاة الضحى ليست من المعنيين المتضادين ، وكذلك قوله :

والشسع ـ بالكسر ـ : قبال النعل

ولقليل المال ثم الجدل

فشسع النعل ليس من الاضداد . وامثال ذلك كثيرة ، ولم يعن الابياري بها .

ويعيب هذه القصيدة امران : قلة الاضداد فيها عما في الدورق ، وكثرة الاضطراب في الترتيب ، كما يظهر في باب الباء ، والحاء والدال ، والراء ، والسين ، والضاد ، والعين وغيرها .

(الفصل الرابع)

فصول عن الأضداد

لم يقصر لغويو العرب جهودهم على تأليف كتب مستقلة للاضداد ، بل شارك بعضهم في هذه الحركة ، بتخصيص ابواب او فصول للاضداد من كتبهم الجامعة . ومن الطبيعي اننا لا نستطيع ان نغفل او نحط من هذه الجهود ، وان كانت بحكم وضعها اقل شأنا من الكتب المستقلة .

وقد وصلت الينا خمس مجموعات تحتوي على ابواب مخصصة للاضداد ، وهي بترتيب ظهورها : الغريب المصنف لابي عبيد القاسم بن سلام المتوفى بين عامي 223 ـ 230 ـ ، وادب الكاتب لابن قتيبة 270 هـ ، وسر العربية لعبد الملك بن محمد الثعالبي المتوفى عام 429 ، والمخصص لابن سيده المتوفى عام 458 ، والمزهر للسيوطي المتوفى عام 911 هـ .

الغريب المصنف

اما ابو عبيد فاعتمد في « باب الاضداد » من غريبه على اساتيذه « ابي زيد ، وابي عبيدة ، والاصمعي ، وابي محمد اليزيدي ، والكسائي » (31) والثلاثة الاول خاصة. واورد في هذا الباب 41 ضدا، كلها موجود في الكتب المستقلة بالاضداد . ولما كان اعتماده على اساتذته ، كان يروي عنهم مباشرة ، فصدر الباب بعبارة : « سمعت أبا زيد يقول » . وانواع الاضداد عنده قليلة ، تتألف من الاضداد الحقيقية ، واضداد التفؤل ، واللفات ، والقلب ، وصيغة أفعل .

وسار المؤلف على خطة ايراد اللفظ ، ثم معنييه، ثم شواهده ان وجدت ، ونسبة كل منها الى قائله . وهو في اغلب المواد قريب من اضداد ابن السكيت متفق معها . قال مثلا : « قال ابو زيد : طلعت على القوم اطلع طلوعا : اذا غبت عنهم حتى لا يروك ، وطلعت عليهم : اذا اقبلت اليهم حتى يروك . وقال : لمقت الشيء المقه لمقا : اذا كتبته في لغة بني عقيل ، وسائر قيس يقولون : لمقته : محوته » . وقال ابن السكيت (40) : قال ابو زيد : يقال : طلعت على القوم اطلع طلوعا : اذا غبت عنهم حتى لا يروك، وطلعت عليهم : اذا اقبلت اليهم حتى يروك . ويقال : لمقت الشيء المقه لمقا : اذا كتبته في لغة عقيل ، وسائر العرب يقولون : لمقته : محوته » .

ولكنه كان يميل الى الاختصار ، فاختصر عبارة ابن السكيت ، كما نرى في قوله : « فرع الرجل في الجبل : صعد ، وفرع : انحدر ، وقال معن بن اوس :

فساروا ، فاما جل حي ففرعوا

جميعا ، واما حي دعد فصعدوا

ويروى : فافرعوا ، وافرع في الحالين جميعا». وقال ابن السكيت (41) : « فرع الرجل : اصعد وفرع : انحدر ، قال معن بن اوس :

فساروا : فاما جل حيي ففرعوا

جميعا ، واما حي دعد فصعدا

---

(31) البغية 376 .

(40) 323 ـ 4

(41) 313 .

ويروى : فاصعدا . ويروى : فافرعوا . وقد افرع الرجل : اذا انحدر من الجبل ، وافرع : اذا صعد ، قال الشماخ :

فان كرهت هجائي فاجتنب سخطي
لا يدركنك افراعي وتصعيدي

وقال رجل من العبلات من بني امية :

اني امرؤ من يمان حين تنسبني
وفي امية افراعي وتصعيدي

الرواية : وتصويبي » . فحذف ما اورده في « افرع » حتى التبس قوله بعض الشيء ، وحذف ما بعدها من شواهد . وكثيرا ما كان يحذفها اختصارا .

وبرغم هذا الاختصار ، كان يزيد احيانا على ما في اضداد ابن السكيت ، مثل قوله : « قال ابو زيد : السدفة في لغة بني تميم : الظلمة ، والسدفة، في لغة قيس : الضوء . وكذلك قال ابو محمد اليزيدي ، وانشد للعجاج :

« واقطع الليل اذا ما اسدفا »

اي اظلم . وبعضهم يجعل السدفة اختلاط الضوء والظلمة مثل ما بين طلوع الفجر الى الاسفار» . ولم يرو ابن السكيت (42) ولا ابو حاتم (43) ولا ابن الانباري (44) العبارة الاخيرة .

ولم يمنعه الاختصار من شرح شواهده ، والالتفات الى ما فيها من رواية . وكان يتفق مع ابن السكيت في اكثر الشرح مع اختصاره . مثال ذلك في قوله : « قال الاصمعي : شعبت الشيء اصلحته، وشعبته : شققته . قال : والشعوب منه ، وهي المنية لانها تفرق . وانشدنا لعلي بن غدير الغنوي :

واذا رايت المرء يشعب امره
شعب العصا ويلح في العصيان

فاعمد لما تعلو فمالك بالذي
لا تستطيع من الامور يدان

قوله : يشعب امره : يعني يفرقه ويشتته . وقوله : لما تعلو ، يقول : تكلف من الامور ما تقهره وتطيقه » . وشرح ابن السكيت أوفى من ذلك ، اذ قال (45) : « قوله : يشعب امره : يفرقه . يقال : شعبت اهواؤهم: اي تفرقت. وقوله : لما تعلو : يعني تكلف من الامر ما تطيقه وتقهره ، ويقال : هو عال لذلك الامر : اي ضابط له قاهر » .

وتاتي مزايا هذا الباب من الاضداد من أنه يصحح بعض نقول ابن السكيت ، كما فعل في (لمق) اذ نسب معنى (محا) الى قيس . موافقا بذلك ابا حاتم (46) وابن الانباري (47) ، ومخالفا قول ابن السكيت (48) .

ويمتاز ايضا بانه ينسب كثيرا من الاضداد التي اهملها ابن السكيت وابو حاتم الى اصحابها الذين قالوها ، مثل افاد ، واودع والمشيح وصارخ وهاجد وصريم وبثر وظن ووراء وغيرها .

ومن الطبيعي ان نضع في مزاياه زياداته في تضاعيف الشرح ، والخطة التي اتبعها في علاج الاضداد ، وجعلته لا يعني الا بما اتصل بها ، ويحذف ما عدا ذلك ، ويقلل الشواهد ، حتى صار الباب في مرحلة متوسطة بين كتب ابن السكيت وابي حاتم وابن الانباري الخاصة بالشواهد والمعلومات ، وبين كتاب الصغاني الذي حذف الشواهد جميعها.

ولكننا نأخذ عليه تكرار مادة « وراء » وتبعا لها مادة « دون » مرتين : اولاهما في منتصف الباب عن ابي عبيدة ، وثانيتهما في آخره تقريبا عن غير ابي عبيدة . ولن نعتذر عنه باختلاف الراوي لانه كان يستطيع التنبيه الى ذلك في الموضع الاول ، ويستغني عن التكرار .. والمأخذ الثاني عليه ايراده بعض الاضداد التي نقدها المؤلفون ، مثل خندذ

---

(42) 43، 316 .
(43) 1144 .
(44) 645 .
(45) 277 .
(46) 1372 .
(47) 133 .
(48) 50، 324 .

واسر ، التى اوردهما ابو عبيدة ، ونقدهما ابو حاتم ، ونقل النقد ايضا ابن الانباري .

— * —

ادب الكـــاتـــب

وافرد ابن قتيبة بابا صغيرا من ادب الكاتب ، « للمتضادين باسم واحد » (49) اورد فيه 27 ضدا. ونهج على ان يقدم اللفظ المراد ثم معنييه المتضادين. واكتفى بذلك كثيـرا ، وفى مـرات اخـرى اورد شاهدا من الشعر ، وكثيرا ما اكتفى بشطر واحد من الشاهد . ونسب فى احد الاضداد قولا لابي عبيدة، وآخر للفراء . واورد فى احد الاضداد ايضـا قـولا يبطل التضاد اخذه من ابي عبيد وان لم ينبـه الى ذلك ..

وامثل له بقوله : « الجون : الاسود ، وهو الابيض ، قال الشاعر :

يبـادر الجونـة ان تغيـبـا

يعني الشمـس .

والصريم الليل ، والصريم الصبح .

والسدفة الظلمة ، والسدفة الضوء ، وبعضهم يجعل السدفة اختلاط الضوء والظلمة كوقت ما بين طلوع الفجر الى الاسفار .

والجلل الشـيء الكبيـر ، والجلـل الشـيء الصغير » .

سـر العربيـة

وافرد الثعالبي فى كتابـه « سر العربيـة فى مجاري كلام العرب وسننها والاستشهـاد بالقـرآن على اكثرها » فصلا خاصا بالاضداد ، سماه « فصل فى تسمية المتضادين باسم واحد (50) » .

وهذا الفصل قصير جدا كبقية فصول الكتاب، يحتوي على ثمانية اضداد فحسب . نهج المؤلف فى معالجتها ، على ان يذكر الكلمة ، ثم معنييها . قال مثلا : « الجون للابيض والاسود ، والقروء للاطهـار والحيض ، والصريم لليل والصبح .. » واستشهد على ضدين فقط ، احدهما ببيت من الشعر ، والثاني بآية من القرآن : قال الخيلولة للشك واليقيـن ، قال ابو ذؤيب :

فبقيت بعدهم بعيش ناصـب
واخال اني لاحق مستتبـع

اي واتيقـن . والنـد المثـل والضـد وفـى القـرآن : (وتجعلـون لله انـدادا) علـى المعنيين » . وواضح من هذه الخطة ان المؤلف لا يريد الا ان يأتي ببعض الامثلة على الاضداد فى اللغة ، اذ هي فى رايه « من سنن العرب المشهـورة » كما قال فى أول فصل الاضداد . فالاضداد عنـده ليسـت مسألة او مشكلة علمية تبحث ، بل مسالـة فـرغ البحث منها ، فهو يشير اليها فقط، ويمثل لها ..

ونستطيع ان ندخل من كتابه ثلاثـة فصـول اخرى ، لان مؤلفي العرب القدامى اعتبروا امثالهـا من الاضداد ، وهي « فصل فى المفعول يأتي بلفظ الفاعل و « فصل فى الفاعل يأتي بلفظ المفعول (51). و « فصل فى المدح يراد به الذم فيجرى مجرى التهكم والهزل » . ويحتوى الفصل الاول على سبع كلمات. ودرج فيه على ذكر الكلمة فى عبارة ، ثم يفسرها باسم المفعول . قال : « تقـول العـرب : سر كاتـم : اي مكتوم . ومكان عامـر : اي معمـور » . ولم يـورد الالفاظ الباقية فى عبارات ، بل فى آيات قرآنية ، والاخيرة منها فى بيت من الشعر ، وفسرها كالكلمات الاولى . قال : « وفى القرآن لا عاصم اليوم من امر الله) اي لا معصوم . وقال تعالى : (خلق من مـاء دافق) اي مدفوق . وقال : (عيشة راضيـة) اي مرضية . وقال الله سبحانه : (حرمـا آمنـا) اي مأمونا . وقال جرير :

ان البليـة مـن تمـل كلامـه
فانفع فؤادك من حديث الوامق

اي من حديث الموموق » .

ويحتوي الفصل الثاني على لفظين ، ذكرهمـا المؤلف فى آيتين ، وفسرهما باسـم الفاعـل قال : قال تعالى : (انه كان وعده مأتيا) اي آتيا . وكما قال جل جلاله : (حجابا مستورا) اي ساترا » .

---

(49) 177 – 181 .
(50) 5652 .
(51) 492 .

ويحتوي الفصل الثالث على اربع عبارات، تجري مجرى الاستهزاء فى كتب الاضداد ، والاخيرتان منها آيتان قرآنيتان . ولم يعلق المؤلف على الأقوال او الآيات ، ولم يفسرهما لوضوح مقصده منها فى عنوان الفصل . قال : « العرب تفعل ذلك (يريد الاستهزاء بالتضاد) فتقول للرجل تستجهله : يا عاقل . وللمراة تستقبحها : يا قمر . وفى القرآن : (ذق انك انت العزيز الكريم) . وقال عز ذكره : (انك لانت الحليم الرشيد) » .

— * —

المخصص

وافرد ابن سيده فى كتابه « المخصص » (52) بابا للاضداد سماه « كتاب الاضداد » . واعتبر ابن سيده هذا الباب كتابا بالفعل ، والاضداد مشكلة علمية جديرة بالبحث ، فصدر الباب بمقدمة فى بحثها . وتناول فى هذه المقدمة تقسيم الكلام الى مختلف ، ومترادف ومشترك وعلل كل قسم منها ووضع الاضداد فى المشترك وبين ان اصل وجودها اللغات والمجاز ، ورد على منكريها كما رد على منكري الترادف . واقام كلامه هذا فى المقدمة على ما قاله سيبويه فى اول كتابه ، وشرح ابي علي الفارسي لهذه الاقوال .

واورد ابن سيده فى بابه حوالي مئة ضد ، اعتمد فى الشطر الاول منها على أبي عبيد ، وفى الثاني على ابن السكيت ، واورد فى الجزء الاخير منها اضدادا من مصادر متفرقة . ولذلك نرى الشطر الاول يسير متفقا مع ترتيب باب اضداد الغريب المصنف اتفاقا تاما ، عدا مواضع متفرقة قليلة زاد فيها ابن سيده مادة من مصدر آخر، او اختل الترتيب فيها . ونرى الشطر الثاني يسير متفقا مع ترتيب كتاب ابن السكيت تماما ، مع حذف المواد التى سبق اقتباسها من ابي عبيد . اذا كان الاثنان اشتركا فيها .

وسار ابن سيده على النهج الذى سار عليه ابو عبيد الا انه مال الى الاختصار اكثر منه . وتمثل هذا الاختصار فى تغيير عبارته ، وعبارة ابن السكيت ، بما يضغطها ولا يخرجها عن معناها . نرى ذلك فى قوله (53) : « يقال لقت الشيء المقه لمقا : كتبته، عقيلية ، ولقته محوته ، قيسية » .

ونرى ذلك فى قوله (54) : « المقوي : الذى لا زاد معه ولا مال له ، والمقوى : المكثر : يقال : اكثر من (اتيان) فلان فانه مقو ، والمقوي : الذى ظهره قوي » . وحذف فى بعض المواضع عبارات ضرورية فى المادة . مثال ذلك قوله (55) « السدفة : اختلاط الضوء والظلمة معا كوقت ما بين صلاة الفجر الى الاسفار » فاقتصر على العبارة الاخيرة من قول أبي عبيد ، ولم يظهر وجه اعتباره المادة من الاضداد لما حذفه منها .

وتمثل الاختصار فيما حذفه من اشياء . فقد حذف اسماء اللغويين الذين رووا الاضداد وذكرهم ابو عبيد وابن السكيت ، واكتفى بنسبتها الى أبي عبيد وابن السكيت . وكان ابو عبيد خاصة يجب ان يشير الى الاضداد التى اتفق فيها بعض اللغويين ، فحذف ابن سيده كل ذلك ..

وحذف بعض الشواهد ايضا .

اما الشواهد التى ذكرها فحذف كثيرا من اسماء قائليها ، وكان ابو عبيد وابن السكيت يذكرهم . وآخر مظاهر الاختصار عدم تكريره اللفظ مع المعنيين المتضادين اكتفاء بذكره مرة واحدة فى اول المادة ، فى بعض الاضداد ، مثل : « شريت : بعت واشتريت ... دحت الشيء دوحا : جمعته وفرقته ..

ولكن — برغم ميله الى الاختصار — كان لا يحذف شرح الشاهد او التعليق عليه ، كما نرى فى شرى ، وشعب ، وجون وخلوف والظن وغيرها . وكان فى بعض المواضع يحذف الشاهد ويأتي بآخر بدلا منه ، كما فعل فى « سواء » .

ويمتاز هذا الباب — الى جانب الاختصار — بما اتى به من اضداد زائدة على ما فى كتب ابن السكيت وابي حاتم وابن الانباري . فقد رجع — للمرة

---

(52) 13 : 258 .
(53) 26 .
(54) 265 .
(55) 261 .

الاولى فى تاريخ الاضداد ـ الى معاجم اللغة الكبيرة، كجمهرة ابن دريد (دوح والعكوك وخفق وغيرها) والعين للخليل (الحصباء والزاهق) ورجع الى علماء لم يؤلفوا فى الاضداد ، ولكن التقطوا منها أشياء كأبي حنيفة الدينوري (الزاهق) أو الفوا فيها ، ولكن روى عنهم اضدادا ليست فى كتبهم كابن السكيت (الحرج) . ولا يختلف علاجه لهذه الاضداد الزائدة عن علاجه لاضداد ابي عبيد وابن السكيت ، غير أنه خصص لها الجزء الاخير من بابه . وان تناثر منها شيء فى داخل كلامه المقتبس عن ابي عبيد وابن السكيت ..

ولم يزد فى الاضداد وحدها ، بل زاد أحيانا فى الشرح ، مثل ما فى (أودع) ، واحيانا بايراد بعض المشتقات التى لم يوردها سابقوه ، مثل ما فى (المشيح) ، وبعض الزيادات الاخرى التى نرى أمثلتها فى نهل . وشرى ، ومثل ، وظن ، وسواء ، وخشب وغيرها . وكان فى بعض الاحيان أو أكثرها ينسب هذه الزيادات الى اصحابها .

وفى آخر الباب جمع ابن سيده بعض الالفاظ، وجعل عنوانها « ما هو فى طريق الضد » . وهو فصل شبيه بالقريب من الاضداد او ما يجري مجراها ، مما رايناه فى كتب الاضداد . واورد فيه بعض الالفاظ التى تختلف معانيها اختلافا يكاد يكون متضادا ، مثل قوله : « سنح عليه الشيء يسنح سنوحا : سهل، وسنحت بالرجل : احرجته » . وروى أحد هذه الالفاظ عن ابن السكيت (وليست فى اضداده واحدها عن صاحب العين واحدها عن أبي زيد والخليل معا . ويحتوي الفصل على اربعة الفاظ فقط .

وخلاصة القول ان هذا الباب من المخصص جدير باسم « كتاب الاضداد » الذي اطلقه عليه مؤلفه فهو لا يقل عن الكتب المستقلة فى شيء ـ لا فى مقدمة تبحث المشكلة ، ولا عدد الاضداد او علاجها او شواهدها ، أو ما الى ذلك . بل ماثلها فى العناية بما يجري مجراها ايضا . ولكنه من الكتب التي تميل الى الاختصار ، فتركز اهتمامها بالاضداد ، وما يوضح تضادها من شواهد وعلاج ، فلا تكثر من الاستطراد وتناول الامور النحوية واللغوية والمعاني الاخرى للاضداد ، وما ماثل ذلك من امور وجدناها فى بعض الكتب المستقلة . فهو فى مرحلة متوسطة بين هذه الكتب وبين كتاب الصغاني القاصر على متن الاضداد ، أو هو بعبارة ادق ، فى مرحلة متوسطة بين باب الاضداد عند ابي عبيد وكتاب الصغاني من حيث التناول ، ولكنه يفوق باب ابي عبيد من حيث عدد الاضداد التى يحويها . وادق وصف له أنه اعظم باب من مجموعة لغوية فى عدد الاضداد ، ومن احسنها دقة تناول . ولا يعيبه غير بعض ما اجراه من حذف شديد فى بعض الاضداد القليلة حتى جعلها غير واضحة ..

— * —

المزهـــر

وفى القرن العاشر الهجري افرد السيوطي فصلا من كتابه « المزهر » للاضداد ، وعنوانه « النوع السادس والعشرون : معرفة الاضداد » . وعالج السيوطي الاضداد علاج ابن سيده لها ، اي اعتبرها مشكلة لغوية تستحق البحث والنقاش . فقدم بين يدي فصله مقدمة تناولت تقسيم الكلام ، واقوال بعض اللغويين فى ذلك وفى الاضداد بنوع خاص ، والدفاع عنها ، والرد على منكريها . واقتبس اقواله هذه من علماء لم نرهم فى المخصص ، مثل الكيا ، وابن فارس والمبرد . ثم انتقل من هذه المقدمة الى الاضداد نفسها .

واعتمد السيوطي فى الجزء الاول من اضداده على ما رواه ابو عبيد فى الغريب المصنف ، كما فعل ابن سيده . ولكنه حين انتهى من أضداد ابي عبيد لم يقتبس اضداد ابن السكيت مثله بل تتبع الاضداد فى بعض المعاجم مثل جمهرة ابن دريد ، وديوان الادب للفارابي ، والصحاح للجوهري ، والجمل لابن فارس والقاموس للفيروزابادي ، وكتب الامالي والرسائل الخاصة مثل أمالي القالي ، ومجاز الكلام وتصاريفه لثعلب ، وادب الكاتب لابن قتيبة ، ونوادر ابن الاعرابي والمقصور والممدود للاندلسي ، والمشاكهة للأزدي ، والافعال لابن القوطية . ويتضح من هذا ان السيوطي خالف القدماء فى المراجع التى اعتمد عليها . فقد كانوا يستقون من كتب الاضداد نفسها، واستقى ابن سيده للمرة الاولى من بعض المعاجم . فلما جاء السيوطي اكثر من هذا الورد وتوسع فيه حتى صار الاصل عنده .

ونهج السيوطي لنفسه ان يذكر اللفظ ومعنييه المتضادين ، وقد يكرر اللفظ مع كل معنى . ولا يعنى الا بما تعلق بالاضداد نفسها ، اي يحذف

الشواهد ، والشروح ، والمشتقات وما اليها ، فلا ذكر لها عنده ، الا في النادر جدا . فبابه من « متون الاضداد » اي من نوع كتاب الصغاني . يقول مثلا (56) : « اجعلب الرجل : اذا اضطجع ساقطا ؛ واجعلبت الابل : اذا مضت جادة . وبعت الشيء : اذا بعته من غيرك ، وبعته : اشتريته . وشريت : بعت واشتريت . وشعبت الشيء : اصلحته ؛ وشعبته : شققته ، وشعوب منه ؛ وهي المنية لانها تفرق . والهاجد : المصلي بالليل . والهاجد : النائم » .

ولجأ في الاضداد التي نقلها عن ابي عبيد الى ترتيبها على قائلها . فقد نثر ابو عبيد اضداد كل لغوي نثرا دون ان يجمعها في موضع واحد ، فكانت عنده مختلطة بما يروى لغيره فلما ادخلها السيوطي في فصله ، فصل كل نوع على حدة ، وقدم اضداد ابي زيد ، فالاصمعي فابي عبيدة فالكسائي فالاموي، فما رواه غير واحد ، فاضداد ابي عمرو ، فالاحمر . وكان واجبا عليه تأخير الاضداد المهملة الى ما بعد اضداد الاحمر . ومن الغريب ان «الاحمر» لا يرد له ذكر في فصل الاضداد من كتاب الغريب المصنف الموجود في ايدينا اليوم ، وربما سقط الاسم من نسختنا وكان في نسخة السيوطي . اذ ان هناك بعض الاختلاف بين النسختين ، فبينما تنسب نسختنا : « شعب » للاصمعي ، ينسبها السيوطي لابي زيد ، وسقط من نسختنا احد معنيي « اشكى » المتضادين ، وهو موجود عند السيوطي .

ولكن السيوطي عندما ترك اضداد ابي عبيد اضطرب ، ولم يفلح في ترتيبها حتى على ترتيب الكتب التي اخذ منها ، بل اورد ما وقع منها تحت نظره ، ولو كان سبق ذكره . ولذلك تكررت عنده بعض المواد مرتين واكثر ، مثل « سوى » رواها عن ابي عبيد — وابن دريد ، و « الفابر » رواها عن ابن دريد والجوهري ، و«نصل» عن الفارابي والجوهري، وغيرها . فبلغت الاضداد عنده قريبا من مئة وعشرين ، وهي في الحقيقة اقل من ذلك كثيرا .

وختم السيوطي فصله بفائدة ذكر فيها اسماء بعض من الف في الاضداد ، ثم سرد اكثر مقدمة كتاب الاضداد لابي بكر بن الانباري ..

---

(56) 1 : 188 .

وخلاصة القول في هذا الفصل انه يضارع فصل ابن سيده ، ولا يقلل من شأنه الا استغناؤه عن الشواهد ، فهو من هذه الناحية يوضع مع كتاب الصغاني ، غير ان هذا يفوقه في الترتيب والتنظيم وخلوه من التكرار .

— * —

« الخاتمة »

الاضداد ظاهرة غريبة .

فالذهن ينكرها للوهلة الاولى ، ويأبى ان يصدق وجود لفظ واحد يدل على معنى وضده . فالمنطق العقلي يعرف الضدين بأنهما الامران اللذان لا يقعان على شيء واحد ، وفي وقت واحد . ومن ثم كانت الالفاظ الاضداد غريبة في ماهيتها . وعلى هذا الاساس انكرها من انكرها . ولكن هذا الاساس لم يمنع ان يؤمن بها جماعات من القدماء ، وقلة من المحدثين . وكانت الفئة الاخيرة — او افراد منها — هي التي حاولت ان تعلل هذه الظاهرة الغريبة بالرجوع الى التفكير البشري في فطرته وسذاجته ، او بالتأمل في مراحل معينة من التاريخ البشري او التاريخ العربي القديم .

ولعل ظاهرة لغوية اخرى بمثل سوء الفهم الذي احيطت به ظاهرة الاضداد . فمنذ عهد مبكر ، اختلف اللغويون فيها ، ولا زالوامختلفين . فاذا تأملنا ما دار بينهم من نقاش وجدنا الفاظهم وعباراتهم تتنافر وتتصادم ، والمؤدى الاخير لما يقولون واحدا. فهم يتجادلون حول تصورين لا تصور واحد ، وفي مجالين لا مجال واحد . ولو تحدثوا عن تصور واحد، وفي داخل مجال واحد ، لهدأ كثير من الخصومة ، وبطل كثير من الادلة ، وربما ضاع الخلاف .

فقد كان المنكرون للاضداد ينظرون في مجال ضيق لا يتجاوز اية لهجة قبلية على حدتها . ولما لم يعثروا على اضداد في داخل اللهجة الواحدة انكروا الاضداد برمتها . وابوا ان يسموا بالاضداد ما جاء دالا على معان متضادة في لهجات قبلية مختلفة ، وان ضمتها اللغة العربية بعد .

وقصر المنكرون تصورهم على الالفاظ فى وضعها الاول. واعلنوا انهم لم يجدوا لفظا واحدا وضعه العرب حين وضعوه دالا على معنيين متضادين. اما اذا كان الاستعمال او التبدلات اللغوية او التغييرات الصرفية قد ادت بعد ذلك الى ان تزول الفوارق بين بعض الالفاظ ذوات المعاني المتضادة ، فتبدو الآن فى صورة واحدة ، ومتضادة المعنى ، فليس ذلك من الاضداد عندهم .

ونستطيع ان نقول : ان كل لفظ توفر له سبب ما فأدى به الى الدلالة على معنيين متضادين يأبى المنكرون ان يسموه ضدا ، مهما كان هذا السبب : لهجات قبلية ، او حذفا ، او تخفيفا او ابدالا ، او اعلالا ، او مجازا ، او تفاؤلا وتطيرا ، او ما شاكل ذلك من أمور . وانما الضد عندهم يجب الا يكون هناك سبب فى دلالته هذه ، بل وضع أصلا لها .

اما المؤيدون للاضداد فوسعوا نظرتهم ومجالهم. نظروا الى اللغة العربية فى شمولها وعمومها . فلفت نظرهم وجود هذه الفئة من الاضداد . ثم لم يعنوا بالبحث عن اسبابها او — ان شئنا الدقة — لم تهمهم الاسباب — فقد عرفوا اسبابا الظاهرة . واعلن اكثرهم أن كثيرا من الاضداد آتية من اللهجات القبلية ، وكشفوا عن كثير من هذه الطائفة من الالفاظ . ولا خلاف بينهم وبين المنكرين غير انهم ارتضوا تسمية هذه الالفاظ القبلية بالاضداد ، ولم يرتضها الاخيرون .

كذلك لم يقصر المؤيدون نظرتهم على الالفاظ عند وضعها الاول ، بل اغفلوا هذا الوضع عامدين اذ لا اهمية له عندهم . وامعنوا النظر فى الالفاظ العربية التى يسمعونها ، ويتحدثون بها ، ويدونون ما يدونون . فوجدوا فيها فئة من هذه الالفاظ ، التقطوها ومنحوها اسم الاضداد دون ان يأبهوا للاسباب التى ادت بها الى ذلك ، ودون ان ينكروا هذه الاسباب . بل لقد شارك بعضهم كقطرب فى الكشف عن بعضها كالتوسع وما شاكله ، لان وجود سبب للتضاد لا يتنافى عندهم مع التسمية .

ولعل الاجابة عن الاسئلة التالية تزيل كل لبس امام المتنازعين :

1 — هل توجد فى العربية الفصحى التى نعرفها اليوم الفاظ ذوات صورة واحدة ، ومعنيين متضادين؟ اعتقد ان احدا لا يستطيع ان ينكر هذا الوجود .

2 — هل تعد هذه الالفاظ ظاهرة خاصة يجدر بها التسجيل بين الظواهر اللغوية ؟ اعتقد ان احدا لا ينكر هذا ايضا . واضيف الى ذلك ان هذه الظاهرة لا تنفرد بها اللغة العربية ، بل توجد فى بعض اللغات السامية كما كشف بعض المستشرقين ، وفى بعض اللغات الاوربية كما كشف الاستاذ عبد الفتاح بدوي . واذن فوجود الاضداد ليس منقصة للغة العربية ، كماظن الشعوبيون قديما ، وكما يفهم من اقوال بعض المستشرقين حديثا ، مما كان واحدا من الدوافع — فى اعتقادي — التى حملت عبد الفتاح بدوي على المغالاة فى رفض الاضداد .

3 — هل تستحق هذه الظاهرة تسمية خاصة ؟ اعتقد ان كل ظاهرة مهما كان شيوعها يجدر بها ان يكون لها اسم خاص . اما المؤيدون فقد سموها « الاضداد » ، فاذا كان المنكرون يجدون لها تسمية اكثر ملاءمة ، فأهلا بها .

4 — هل الاضداد بالشيوع الذى صوره القدماء ؟

واضح من الدراسة الماضية ان تصور الاضداد اختلف من وقت لآخر ، ومن رجل الى رجل ، فضاق حينا واتسع آخر . فكان تصور الاضداد ضيق المجال فى بادىء الامر عند المتحدثين فيها دون ان يحاولوا لها جمعا او تدوينا . ولكن هذا التصور اتسع اتساعا غريبا عند اول مؤلف فى الاضداد : قطرب ، فشمل شتاتا غريبا من الالفاظ ، مما يدل على ان قطربا لم يكن يحسن تصور الاضداد ، ولا احسن وضع الحواجز الفاصلة بينها وبين غيرها واضطر اكثر من جاء بعد قطرب الى تضييق المجال الذى وسعه ، ونفي كثير من الفئات والالفاظ التى ادخلها فى كتابه . فأخذ تصور الاضداد فى الوضوح ، وحدودها فى البروز . ثم اتسع المجال مرة اخرى عند ابن الانباري خاصة بما ادخل من انواع جديدة من الاضداد . واذن فالمجال كان متغيرا عند القدماء ، وما اظن الا انه كذلك عند المحدثين ، وان كان اضيق عندهم منه عند القدماء .

5 — هل نعد كل الانواع التى اتفق عليها القدماء من الاضداد ؟.

اعتقد ان احدا لا يجادل فى ان ذلك مستحيل، وان بعض ما عده القدماء من الاضداد لا يستحق هذه التسمية . واضرب امثلة لذلك بما يلي :

أ ــ ما اختلف فى تفسيره من الآيات، والاشعار، والاقوال . فالاتفاق تام بين اللغويين انه لا يوجد فيها لفظ ذو معنيين متضادين . وانما جاء التضاد من اختلاف الناس فى فهم هذه العبارات فى مجموعها . ومثال ذلك الآية التى اوردناها سابقا : (وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم ايمانه) . فقد اختلف المفسرون فيما يتعلق به الجار والمجرور (من آل فرعون) . فذهب بعضهم الى انه متعلق بمحذوف صفة لـ (رجل) ، فصار القائل عندهم رجلا مؤمنا، من أقرباء فرعون ، يكتم ايمانه عن الناس جميعا . وذهب بعضهم الى انه متعلق بالفعل (يكتم) وان الآية حدث فيها تقديم وتأخير ، وان الترتيب العادي لها : قال رجل مؤمن يكتم ايمانه من آل فرعون ، فصار القائل عندهم رجلا مؤمنا ، غير انه يخفي هذا الايمان عن آل فرعون . وليس هذا وامثاله من الاضداد فى شيء .

ب ــ الفاظ وعبارات التفاؤل والتطير والاستهزاء . فاننا يجب ان نعترف ان المتحدث قد يتكلم على وقع ذهني ، يصدق احيانا على الواقع الخارجي ولا يصدق اخرى . فالمتحدث (المتفائل او المتطير) يكره الواقع الخارجي ، ويحاول ان يتجاهله ، فيوفر لنفسه كل السبل التى تؤدي به الى نسيانه. ومن اهمها عدم التحدث عنه او اعطاؤه اسما آخر لا يدل عليه . واذن فالمتفائل حين يسمي الملدوغ سليما ، والمريض معافى ، لا يريد الصورة التى يكرهها ، بل الصورة التى يحبها . فاللفظ اذن مستعمل فى معناه الاصلي ، وان كان لا يتفق مع الواقع الخارجي . اضيف الى ذلك ان المتحدث يريد ان يرسم فى ذهن المستمع صورة متفائلة . فاللفظ لا يدل الا على معناه الاصلي عند المتكلم والمستمع كليهما ، وان كان معناه ذهنيا لا واقع له فى الخارج . لو لم يكن الامر كذلك ، لما كان هناك تفاؤل او تطير او استهزاء . واذن ليس هذا وامثاله من الاضداد فى شيء .

ج ــ ما وضع فى الاضداد تعسفا او تكثرا ، مثل الالفاظ التى تختلف معانيها دون ان تتضاد ، والالفاظ التى تتضاد معانيها بسبب ما يتعلق بها من ادوات كرغب عن والى ، وانصرف عن والى ، وغيرهما .

6 ــ ما السبيل الى معرفة اللفظ الجدير باسم الضد ؟

اعتقد ان السبيل الوحيد الى ذلك هو المعنى الذى يدل عليه اللفظ . وهنا احترز فأقول المعنى الحق للفظ . واعني بهذا الاحتراز امثال هذه الالفاظ التى لم يحسن بعض اللغويين التنبه الى معناها الحق، ونسبوا اليها معاني بدت متضادة . فالصريم هو الوقت المنقطع ، اعني الوقت المنقطع من وقت آخر، كالليل ينقطع من النهار ، والنهار ينقطع من الليل ، وليس الصريم الليل خاصة ولاالنهار خاصة . والدليل الجلي على ذلك اصل اللفظ ، ومعناه ، فأصله الصرم ومعناه القطع .

والسدفة ليست ظلمة حالكة ولا ضوءا مشرقا ، بل هي الظلمة التى ينبعث فيها الضوء ، او الضوء الذى تشوبه الظلمة ، هي اختلاط الظلمة بالضوء ، سواء كان هذا عند دخول الليل او انبلاج الصباح .

وامثال ذلك كثيرة ، فطن اليها بعض القدماء انفسهم ، كما فعلوا فى الأتم والطرب وغيرهما . وليست هذه الالفاظ من الاضداد فى شيء.

واذن فما وجدنا معانيه تؤول الى معنى واحد لا تضاد فيه يجب ان نخرجه من الاضداد . وما دل من الالفاظ على معنى واحد : سواء كان معنى خارجيا او ذهنيا ، يجب ان نخرجه من الاضداد .

وانما يجب ان يكون الضد لفظا واحدا ، ذا صورة واحدة ، ومعنيين متضادين حقا لم يمكن الجمع بينهما . تلك هي الصورة الصحيحة للاضداد ، وذلك هو السبيل القويم الى تطبيقها .

« المراجـــــع »

المطبوعـــــة

الاصمعي ، ابو سعيد عبد الملك بن قريب :الاضداد ، طبع بيروت 1913 .

ابن الانباري ، ابو بكر محمد بن القاسم : الاضداد ، طبع الكويت 1960 .

الثعالبي : سر العربية فى مجاري كلام العرب وسننها والاستشهاد بالقرآن على اكثرهـا ، طبـع المكتبة التجارية 1938 .

الخليل بن احمد : العيـن ، مصـور بمكتبـة المجمع العلمي العراقي ببغداد ، وطبع الجـزء الاول منه ببغداد 1967 .

ابن دريد ، ابو بكر محد بن الحسن : الجمهرة،طبع حيدر اباد بالهند .

ابن الدهان ، ابو محمد سعيد بن المبارك : الاضداد ، المطبعة الحيدرية بالنجـف 1371 ـ 1952 فى نفائس المخطوطات .

الـرازي ، ابو الحسـن احمـد بن فـارس :الصاحبي فى فقه اللغة وسنن العرب فى كلامهـا ، طبع بيرت 1964 ـ 1383 .

السجستاني، ابو حاتم سهل بن محمـد : الاضداد ، طبع بيروت 1913 .

سيبويه ، ابو بشـر عمرو بن عثمان : الكتاب ، طبع بولاق 1316 .

ابن سيده : المخصـص ، المجـلد 13 ، طبـع بولاق .

السيوطي : المزهر فى علوم اللغة وانواعهـا ، طبع دار احياء الكتب العربية بالقاهرة .

الصغاني ، ابو الفضائل الحسن بن محمـد : الاضداد ، طبع بيروت 1913 .

ابو الطيب اللغوي الحلبي عبد الواحد بن علي :الاضداد فى كلام العرب ، طبـع دمشـق 1382 ـ 1963 .

عبد الفتاح بدوي : دائرة المعارف الاسلامية ، مادة اضداد (الطبعة العربية) .

ابن قتيبة ، ابو محمد عبد الله بن مسـلم الدينوري : ادب الكاتب ، ط الرابعة 1382 / 1963 .

قطرب ، ابو علي محمد بن المستنير : الاضداد، فى مجلة Islamic ، المجلد الخامس ، سنة 1931، من ص 247 الى293 .

المبـرد : الكامل ، طبع مصطفى البابي الحلبي واولاده بمصر .

منصور فهمي : الاضداد ، مجلة مجمع اللغـة العربية (الملكي) ، الجزء الثاني ، صفـر 1354 ـ مايو 1935 .

المخطـــوطـــة

احمد بن احمد بن اسماعيل الحلواني : الكاس المروق ، مخطوط بدار الكتب المصرية .

عبد الله بن محمد بن القاضي : منبه الرقـاد فى ذكر جملة من الاضداد ، مخطوط بدار الكتب المصريـة .

عبد الله بن نجا الابياري : دورق الانداد فى نظم اسماء الاضداد ، مخطوط بدار الكتب المصرية .

ابو عبيد القاسم بن سلام : الغريب المصنف . مصور بمكتبة مجمع اللغة العربية بالقاهرة .

محمد المدني : الاضداد . المكتبة السليمانيـة بالاستانة ، فى مجموعة تحت رقم 1041 ، يبـدا الكتاب من وجه ورقة 98 الى وجه ورقة 103 .